

الجزء الأول

فنون الشرف الأوسط القديم  
في العصور البدائية وفي عصر الأسرات

القسم الأول

فنون الشرف الأوسط القديم  
في العصور البدائية

obeikandi.com

## تمهيد تاريخى لبداية الحضارة الإنسانية وتطور الفن

مرت أحداث وتطورات كثيرة فى حياة الإنسان الأول الذى انتشر على سطح الكرة الأرضية استغرقت مئات الآلاف من السنين ، قبل أن يتمكن الجنس البشرى من السير فى مراحل التقدم التى كانت إيداناً بدخوله فى العصور التاريخية .

ولقد قسمت هذه الآلاف من الأعوام إلى حقبات متتالية تبعاً لتطور المواد المختلفة التى استخدمها الإنسان فى عمل أدواته الخاصة .

فى الحقبة الباليوليتية « العصر الحجري القديم » استخدم الإنسان الحجر المنحوت نحتاً بسيطاً فى عمل أدواته . وفى الحقبة التالية الميزوليتية « العصر الحجري الوسيط » . ظهرت أدوات مصنوعة من العظام إلى جانب الأدوات الحجرية المصقولة . ثم توصل الإنسان فى الحقبة الأخيرة النيوليتية « العصر الحجري الحديث » إلى استعمال النحاس فى عمل أدواته . إلى جانب الأدوات الحجرية .

ولقد مرت بحياة الإنسان الحجري من ناحية تطوره الحضارى مرحلتان متاليتان . مرحلة جمع الطعام التى استمرت خلال العصرين الحجري القديم والمتوسط . ظل فيها الإنسان متجولاً وراء الصيد باحثاً عن غذائه . ثم انتقل بعدها إلى مرحلة إنتاج الطعام حينما توصل بطريق الصدفة إلى الزراعة . ويعتبر اكتشاف إنسان العصر الحجري الحديث للزراعة إيداناً بانقلاب كبير فى حياته التى عرف خلالها الاستقرار . حيث هجر مساكنه فى الكهوف الصخرية إلى مساكن فى السهول . وتحول الإنسان من جامع للغذاء إلى منتج له . وحل الزارع محل الصياد . وظهرت تبعاً لذلك ملكية الأرض .

وعندما قابلت الزارع مشاكل تحتاج إلى أكثر من جهد واحد تعاون مع غيره من الأفراد في زراعة الأرض . وتكون بذلك نظام شبه قبلى ساعد على التمتع بحياة مستقرة . وبذلك تكون المجتمع الأول وكانت إحدى النتائج الهامة للحياة الجماعية أنها كوّنت القرى . وكان لا بد للحضارة أن تنمو وتتطور . واحتاج الإنسان إلى معرفة أشياء أخرى غير الفلاحة فصنع الأواني الطينية ليضع فيها مقتنياته . وعند ما اكتشف تأثير النار على الطين استخدمها في الحصول على الأواني الفخارية . وسرعان ما حلت الأواني الخزفية محل الأواني المصنوعة من الطين أو الجلد أو الحجارة . ولما عثر على المعادن كالنحاس والذهب استعملها بقصد الزينة وبذلك تطورت حياته تطوراً حضارياً واضحاً .

انتشر إنسان العصر الحجري الحديث في أكثر من منطقة على سطح الكرة الأرضية . واكتشفت آثاره في أكثر من مكان . وكان ينبغي في اختياره لهذه المناطق اعتدال المناخ وخصوبة التربة الموجودة حول وديان الأنهار . وتعتبر منطقة الشرق الأوسط من أقدم المناطق التي ظهرت فيها الحضارة الإنسانية وازدهرت في وقت مبكر . ويرجع ازدهارها إلى عوامل البيئة الطبيعية التي كان يبحث عنها الإنسان . وكذلك إلى جهوده . والواقع أن أسبق المناطق التي ازدهرت فيها الحضارة في منطقة الشرق الأوسط هي وادي النيل . ووادي الرافدين « دجلة والفرات » وعنهما أخذت بنية أقاليم الشرق الأوسط حضاراتهم .

ولقد ولد الفن عندما بدأ إنسان العصر الميزوليتي يشعر بالقوى التي تسيطر عليه ، وعبر عن ذلك بتصاوير ملونة على جدران الكهوف . ولقد ظهرت آثار هذا الإنسان ذو المواهب الفنية في جهات مختلفة في جنوب فرنسا وشمال أسبانيا . وأبدع ما عثر عليه وجد في كهوف لاسكوبفرنسا ( ش ٢١ ) والتيميرا في أسبانيا . وترجع الأولى إلى الفترة ١٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ق. م والثانية إلى حوالي ٢٥٠٠٠ ق. م . وتدل تصاوير إنسان هذه الكهوف على أن هذا الفن الذي بلغ القمة في



( ١ ) تصوير جدارى وجد بكهف لاسكو ، فرنسا

حوالى ١٢٠٠٠ ق.م. كان فى جوهره فن الصيد الذى أراد أن يعبر عما يكمن فى شعوره . فاهتم برسم الحيوانات المعاصرة التى كان يرغب فى صيدها مثل الخيول والجاموس البرى والغزلان . لذلك اقتضت رسومه الأولى على الحيوان دون الإنسان . ويعتقد العلماء أن فن الإنسان الصياد كان فى مظهره الأول منبثقاً من اعتقادات تسيطر عليه ، فربما كان يظن أن مهارته فى رسم الحيوانات التى يخافها يعطيه سلطة عليها . وتزيد من قدرته على التغلب عليها . لذلك تميزت رسوم الحيوانات بالدقة التامة والحركة والحيوية . ولقد حصل المصور الأول على ألوانه من أكاسيد الحديد والمنجنيز واللون الأسود من العظام المحروقة . ولم تقتصر محاولات الفنان الأول على التصوير بالألوان ، بل نجد أنه قام بعمل نقوش بارزة على الصخور والعاج ( ش ٢٢ ) كما قام بعد ذلك برسم صورة شبيهة لنساء .

على أنه لا يمكن أن نتجاهل ما قام بعمله إنسان العصر الباليوليتى الذى جاء إلى أوروبا فى حوالى ٢٥٠٠٠ ق.م. قادمًا من جنوب آسيا وشمال إفريقيا . حيث عثر على آثار فنية متفرقة أهمها تماثيل صغيرة لأشكال نسائية عرفت باسم

( ١٢ ) نحت على العاج  
على هيئة حيوان



فينوس . ومن أشهر هذه الأمثلة فينوس ويلندورف بالنمسا ( ش ٩٣ ) وإيسورج بفرنسا . ويلاحظ في هذه التماثيل اهتمام الفنان بالأجزاء المتصلة بوظيفة الأمومة كالصدر والبطن .

عثر على أمثلة لمرحلة متأخرة من فن الإنسان الصياد في شمال إفريقيا وفي كهوف الصحارى الحفافية بوادي النيل<sup>(١)</sup> . ويمكن نسبة هذه الآثار إلى بداية العصر الحجري الحديث . وأحسن أمثلة لفن الصياد في شمال إفريقيا عثر عليه في كهوف التاسيلي في شمال شرق الهسقا ( ش ٩٤ ) وفي فيزان وفي الصحراء الليبية . وقد تطور هذا الإنسان وتقدم الفن في العصر النيوليتي عندما تحول الصياد إلى مزارع فشكل الأواني الفخارية وزخرفها بالألوان .

ولقد كشفت الحفائر عن آثار فنية لإنسان العصر الحجري الحديث في أكثر من مكان في بلاد الشرق الأوسط القديم ، ويرجع تاريخ أقدم الآثار التي عثر عليها في بلاد النهرين إلى حوالي عام ٦٠٠٠ ق . م . حيث عثر على أوان فخارية بدائية وأدوات حجرية لقبائل سكنت المنطقة الشمالية في ذلك التاريخ في بلدتي « جارمو » Jarmo ( تبعد ٣٥ ك . م شرق كركوك ) . و « حسونة » Hassuna ( قرب الموصل ) . كما عثر في هاتين القريتين على دمي يمثل بعضها نساء

( ١ ) أحسن ما كتب عن هذه الأبحاث قام بها الأستاذ H. Winkler .



(١٣) فينوس ويلندورف تمثال صغير  
من الحجر ، متحف فينا



(١٤) تصاوير جدارية وجدت على كهوف  
تونس وليبيا



بدينات . ومن المحتمل وجود أماكن مماثلة مبعثرة في الشرق الأوسط ترجع إلى ذلك التاريخ ، فقد كشف النقاب حديثاً عن آثار حضارات معاصرة في جنوب بلاد الأناضول في بلدتي « ستال هويوك » و « هاسيلار » .

وتسبق هذه الحضارات حضارة وجدت بمدينة « أريحا Jericho » بالأردن . حيث دلت الاكتشافات الحديثة التي عُثِرَ عليها في هذه المنطقة على أن إنسان العصر الحجري الحديث كان متقدماً في الحضارة ، إذ عمل على تحصين مواقعه بالأسوار الحجرية قبل أن يكتشف عملية حرق الفخار . كما تمكن من المحافظة على شبه الموتى بصب طبقة من مادة تشبه الجص على الجماجم البشرية . على أن حضارة « أريحا » اندثرت فجأة ولم يستفد منها أى شعب من شعوب الشرق الأوسط .

ولفترة تزيد على الألف عام بعد آثار « أريحا وجارمو وحسونة وبلاد الأناضول » لم تكتشف للآن آثار لسكان منطقة الشرق الأوسط . وفجأة يبرز لنا بعد ذلك من الظلام حضارات متصلة متعاصرة في مكانين مختلفين في وقت واحد تقريباً : في وادي النيل ومنطقة بلاد النهرين . وتحمل هذه الحضارات في طياتها جذور فنون الشرق الأوسط القديم الذي ينتشر في المنطقة .

# الباب الأول

## مصر

### أولاً - العهود البدائية :

دلت الحفريات التي قام بها المنقبون على وجود مخلفات لإنسان العصر الحجري القديم في صحراء العباسية ، كما عثر كذلك على آثار العصر الحجري الأوسط في الفيوم . وعلى جانبي الوادي في المناطق الصحراوية . ولقد عرفت الزراعة في مصر منذ أواخر العصر الحجري الحديث بعد حلول الجفاف وانعدام الأمطار في المناطق الصحراوية . فانتقل نشاط الإنسان إلى سهل الوادي الخصب وتعلم زراعة الأرض واستنباتها .

تمكن الأثرى الأستاذ « وينكلر » H.A. Winkler من تمييز ثلاثة عناصر مختلفة من الأجناس التي كونت القبائل بعد أن تجمعت في الوادي واستقرت به . وذلك من رسوم لوحات حيوانية وآدمية سجلت على جدران الصخور العالية الموجودة على جانبي الوادي في المواقع التي كانت تحل بها تلك القبائل .

فن صور الآدميين أمكن التعرف على سكان الواحات الذين هاجروا منها بعد الجفاف إلى الوادي . كما أمكن تمييز سكان الجبال الذين اضطروا إلى الاقتراب من النهر لقلّة الأمطار على الهضبة بما احتوته تلك النقوش من مناظر الصيد ( شكل ١ ) . وعرف العنصر الثالث وهي القبائل الأجنبية النازحة من الشرق من شكل قواربهم المرسومة على جدار آخر ( شكل ٢ ) .

حيث تتميز هذه القوارب بقاع مسطح مرتفع عند المقدمة والمؤخرة ، ويختلف شكلها عن قوارب المصريين ذات القاع المقعر المرسومة على الأواني الفخارية التي عثر عليها في مقابر المصريين البدائيين ( شكل ٥ ) .

ويتكرر ظهور هذه القوارب المصرية في زخارف قطعة نسيج وجدت في مقابر المصريين في منظر يوضح صيد فرس البحر .

تجمعت هذه الأجناس المختلفة في الوادى واستقرت به وانتقلت حياتهم من التجول للبحث عن الطعام إلى حياة الزراعة والاستقرار مما ساعد على تكوين القرى الصغيرة . ومع نشأة هذه القرى تكونت بها حضارات متتالية ، قسمت على ثلاث فترات زمنية عرفت أسماؤها بأسماء الجهات والبلاد التي عثر فيها أو بالقرب منها على آثار لتلك القبائل .

ويرجع تاريخ أقدم هذه الآثار إلى سنة ٥٠٠٠ ق . م <sup>(١)</sup> ويطلق على هذه الفترة « الحضارة التاسية » Tasian ، نسبة إلى مواقع في الوجه القبلى تميزت أكثر بطابع هذه الحضارة . ووجدت في الجنوب في « ديرتاسا » بأسبوط وفي الشمال في مرمدة « بنى سلامة » و « العمرى » . وتتكون آثار تلك الفترة من أوان فخارية ( شكل ٣ ) مصنوعة باليد وأسلحة صغيرة حجرية ، كما تدل الآثار على أن أهالى ذلك العصر أجادوا صناعة السلال والمنسوجات وكانت حليهم من العاج والعظم والأصداف .

مرت فترة طويلة حوالى ١٠٠٠ عام قبل أن يظهر تطور في الحضارة المصرية ، وعرفت الحضارة التالية باسم حضارة « البدارى » ، ومن المعروف أن حضارتهم مورثة عن الحضارة « التاسية » ووجدت آثارها في مدن « البدارى » و « مستجلة » و « متمار » . ومجموعة هذه الآثار عبارة عن أوان فخارية تدل على تقدم في الصناعة ، كما زخرف بعضها في تلك الفترة بخطوط هندسية ( شكل ٤ ) وقد اكتشفت عملية حرق الفخار . كذلك عثر على تماثيل صغيرة من الفخار والعظام ومن البازلت ، وكانت قبائل البدارى أول من استخدم النحاس في صنع الدبابيس .

أعقبت حضارة « البدارى » حضارة « نقادة » المشهورة ويرجع تاريخها إلى سنة ٣٤٠٠ ق . م ووجدت آثارها في أماكن متعددة : « نقادة » — « البلاص » — « العمرة » — « أبيدوس » — « الكاب » . كما ظهرت في جزء من

( ١ ) أهم أستاذ علم المصريات الأستاذ « فلندز بترى Flanders Petrie » بدراسة الفترات البدائية في كتابه ( Prehistoric Egypt ) .



(شكل ٢) رسوم بالطباشير لنوعين مختلفين من القوارب البدائية (صورة منقولة عن كتاب الأستاذ «ونكلر Winkler»)



(شكل ١) رسوم بالطباشير ويظهر بها حيوانات ورجل يصطاد نعاماً. (منقولة عن كتاب الأستاذ «فاندييه Vandier»)



(شكل ٥) آنية من الفخار من «عهد جرزة» المتحف المصري بالقاهرة



(شكل ٣) قديم من الفخار يزخارف هندسية من العهد الثامن «المتحف المصري بالقاهرة»

(شكل ٤) آنية من الفخار من أواخر «عهد البداري» طرا الإثاء ١٩٥٥ سم «متحف الفنون بيوستن»



بلاد النوبة . وهذه الحضارة غنية بالآثار ، ومراحل التطور فيها واضحة مما جعل الباحثين يقسمونها إلى مرحلتين رئيسيتين هما : مرحلة « نقادة » الأولى حضارة « العمرى »<sup>(١)</sup> ونقادة الثانية أو حضارة « جرزة »<sup>(٢)</sup> . ومن هذه الفترة ابتدأ ظهور المصنوعات العاجية كما تظهر الأواني الملونة بزخارف حيوانية و آدمية . وتتقدم صناعة المنسوجات وتظهر في هذه الفترة صناعة التماثيل الصغيرة لأشكال آدمية ربما كانت تستعمل كتعاويد تجلب الحظ وتدفع الأذى .

فمن حضارة العمرى ، عثر على دمي من الفخار والعاج تمثل رجلا ونساء . وتظهر التماثيل النسائية ( شكل ٦ ) ملتصقة أطرافها السفلى ، أما أطرافها العليا فتتمدد إلى أعلى . ويلاحظ أحيانا الوشم المرسوم على هذه الدمي . وتدل صناعة هذه التماثيل على عدم مراعاة الدقة في نسب الجسد البشرى .

وبحلول عهد « جرزة » طرأ تغيير كبير في الأعمال الفنية ويتضح ذلك من تماثيل مصنوع من البازلت ( شكل ٧ ) يتسم بتصميم يدل على براعة فنية ممتازة في تمثيل الجسم والملامح . كما تمتاز أواني هذه الفترة بتقدم واضح في الصناعة وبزخارف تمتاز بطراوة الخطوط التي رسمت بها صور الرجال والحيوانات والطيور المائية أو القوارب ( شكل ٥ ) .

وتمثل نهاية عهد « جرزة » فترة مهمة في فنون عهد ما قبل الأسرات ، حيث يكثر فيها ظهور الأعمال الفنية . كما تتميز بدقة الفن الذي وصل إلى المرحلة التي أدت إلى قيام الفن الفرعوني . فمن تلك الفترة ابتدأ ظهور النقش الغائر على السطح المصقول . ومثال ذلك مقبض السكين المحفوظ بمتحف « اللوفر » والذي عثر عليه في « جبل العرق » قرب دندره غرب النيل . ومقبض هذه السكين مصنوع من العاج ( شكل ٨ ) وبه نقوش بارزة من الجهتين ، تصور إحداها ( شكل ٢٨ ) معركة بين طائفة من الرجال العراة ، وقوارب مختلفة

( ١ ) وتنسب إلى نعم العمرة قرب البلينا . ويرى « بيترى » أنها لبسيمة الأصل . بينما يراها « شارف » أفريقية من الجنس احمى .

( ٢ ) جرزة قرية من قرى مركز العياط . ويرى « بيترى » أن أصحابها قدموا من الشرق ويعرضه « شارف » الذي يؤكد نسبتها إلى الدلتا .



(شكل ٦) تمثال من الصلصال من « عصر العبري »  
لامرأة برأس صغيرة وذراعين مرفوعتين إلى أعلى « متحف  
بروكلين بالولايات المتحدة »

(شكل ٧) تمثال لرجل من البازلت من عهد أواخر ما قبل  
الأسرات « متحف أشفولان » « انقضاء التمثال »

(شكل ٨) مقبض سكين من العاج عثر عليه في الوجه القبلي وبه نقوش من المهنين « أ » يسجل معركة ونوعين مختلفين من القوارب . « ب » حيوانات ورجل ملثم يقف بين أسدين . « متحف اللوفر بفرنسا »



الأشكال . وتصور الجهة الأخرى ( شكل ٨ ب ) أنواعاً مختلفة من الحيوانات ورجلا واقفاً بين أسدين . وقد أثبت الفنان في هذه النقوش مهارة ودراية بتكوين الجسم البشري . كما دلت رسوم الحيوانات على مقدرة وبراعة في تسجيل الخصائص المختلفة للحيوانات .

ويلاحظ في رسم هذه النقوش التطور الذي طرأ على الفنان في تصميمه العام للصورة فيلاحظ أنه ابتداءً في تنظيم وحداته على السطحين . فترى الأشخاص في السطح الأول ليسوا مبعثرين في المساحة ، ولكنهم موزعون في سطور أفقية ، ويكونون وحدة كاملة . كما أن توزيع الحيوانات على السطح الآخر به نوع من الترتيب . فزاهم موضوعين في خطوط عمودية ، وكل زوجين منهم رسماً على خط أفقي واحد .

ومن أواخر ذلك العهد عثر على لوحات أردوازية منقوشة بنقوش بارزة . وكانت هذه اللوحات ( أو الصلابات <sup>(١)</sup> ) تستعمل في أول الأمر لصحن الدهنج <sup>(٢)</sup> وكانت بغير نقوش ، ثم تطورت وشغل النقش سطحها ، ومثال ذلك « لوحة الصيادين » ( شكل ٩ ) التي توضح مناظر صيد الأسود . فنلاحظ تعاون عدة أشخاص

( شكل ٩ ) صلاية « صيد الأسود » ويظهر بها صفان من الرجال يتعاونون على صيد الأسود ، قارن الأسد المنقوش بالجهة اليمنى بشكل ٢٣ . « المتحف البريطاني »



- ( ١ ) الصلاية هي لوحة كانت شائعة الاستعمال في عصور قبل التاريخ لصحن مواد الزينة .
- ( ٢ ) حجر يسحق ليصنع منه الكحل . وقد استعمل منذ عصور تاسا والبداري .



(شكل ١٠ أ، ب) صلاية منقوشة من الوجهين  
بصور لحيوانات مختلفة وتظهر بينها  
كلاب الصيد كما يظهر بها بعض  
الحيوانات الخرافية « متحف أشموليان  
إنجلترا ». ارتفاع اللوحة ٤٣ سم

للإيقاع بالأسد . كما تسجل اللوحة التي عثر عليها في « هيراكنبوليس » <sup>(١)</sup> حالياً  
« الكوم الأحمر » نقوشاً على السطحين لمجموعة من الحيوانات المختلفة التي تعيش  
في المنطقة (شكل ١٠ أ و ب) وتظهر بينها نقوش لحيوانات خرافية يجسم آدمى  
ورقاب طويلة . وتدل رسوم هذه الحيوانات على دقة متناهية في محاكاة الطبيعة  
وعلى مقدرة الفنان المصري في تسجيل أشكالها المختلفة .

( ١ ) أطلق الإغريق هذا الاسم على مدينة « نخن » عاصمة مملكة الجنوب عند ما شاهدوا صورة  
الصقر « حورس » مرسوماً على جدار المدينة فاعتقلوا أنه الطائر المعروف باسم مالك الحزين وهذا هو  
اسمه باللغة الإغريقية .

## ثانياً - عهد ما قبل الأسرات :

كانت مصر في عهدها الأولى تتألف من جماعات مختلفة . وبمرور الزمن تكونت لهذه الجماعات زعامات ، تطورت إلى اتحاد في الشمال . حيث تكونت مملكة الدلتا « الوجه البحرى » وإلى أخرى في الجنوب . حيث كانت مملكة الجنوب « الوجه القبلى » . ثم تم للكتلة الشمالية الاستيلاء على مملكة الصعيد . ونتج عن هذا الانتصار الاتحاد الأول للإقليمين . وكانت عاصمة تلك المملكة الموحدة « أيون » أو « هليوبوليس »<sup>(١)</sup> الواقعة في منتصف المملكةين . ويرجع العلماء أن ذلك تم حوالى عام « ٤٢٤٥ ق . م » .

انفصلت المملكتان بعد فترة من الزمن . وعاد النزاع بينهما أشد مما كان أولاً . وكانت عاصمة الشمال « بي »<sup>(٢)</sup> وعاصمة مملكة الجنوب « نخب » أو « نخب »<sup>(٣)</sup> . وقد اتخذت مملكة الشمال نبات البردى رمزاً لها والأفعى حامية للنبات . واتخذت مملكة الجنوب نبات « الأسل »<sup>(٤)</sup> رمزاً لها والرخمة حامية له . ويميز ملك الشمال بتاج أحمر ذى شكل خاص . كما اتخذ ملك الجنوب تاجاً أبيض ذا شكل مخروطى .

ولقد كانت للديانة في مصر أهمية كبرى أثرت في حياة المصريين . كما رمزوا للمظاهر الطبيعية في عقائدهم الدينية . وكان لكل مدينة إله يتقربون إليه بالقرابين . ولقد قدس المصريون بعض الحيوانات والطيور التى تعيش فيها وكانت أغلب المعبودات المحلية من الحيوان أو النبات التى اتخذوها مظهرراً من مظاهر القوة الإلهية . أو مقررراً تحل به الآلهة . وكان الصقر « حورس » المعبود الرئيسى في كل من المملكتين .

( ١ ) هذه التسمية إغريقية ومنها مدينة الشمس .

( ٢ ) تسمى أيضاً « بوتو » وأصلها أغريقى « ومكانها الآن « تل الفراعين شمال شرق دسوق . »

( ٣ ) مكانها الآن مدينة الكوم الأحمر وتقع بين مدينتي إدفو ، إيسا .

( ٤ ) نبات من فصيلة السوسن دقيق الأغصان .

لم تعرف أسماء الملوك التي سبقت عصر التوحيد وتكوين الأسر في مصر إلا برموز لهم . مثال ذلك الملك العقرب أحد ملوك الجنوب الأقوياء . ولقد حاول هذا الملك أن يوحد البلاد . ولكن محاولته لم تنته بنصر كامل ، حيث لا يظهر في آثاره وتديناً التاج المزدوج . ولقد تم ذلك التوحيد على يد ملك آخر من ملوك الجنوب يعرف باسم الملك « نعرمر » .

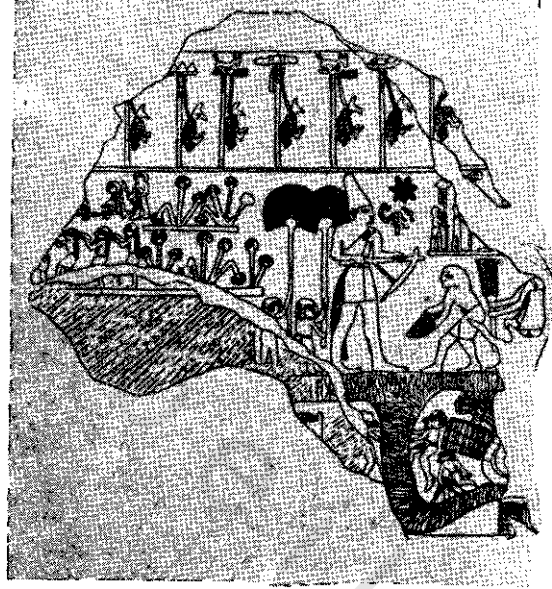
ومن مدينة « هيراكنبوليس » عاصمة الجنوب . عثر على آثار فنية تشير إلى التطور الفني الذي كان أساساً للفن المصري القديم . ويشهد على ذلك الصلّابات التي سبق ذكرها ، والتي نقش عايمها مختلف الأنواع من الحوش في غاية من الدقة .

ومن بين ما عثر عليه الأثرى « كويبل Quibell » في هذه المنطقة رأس دبوس ( مقمعة )<sup>(١)</sup> للملك العقرب ( شكل ١١ ) سجلت عليه نقوش تسجل افتتاح شق قناة لزيادة الرقعة المنزرعة ( شكل ١١ ) ويلاحظ أن الفنان قد اتبع في تسجيل نقوشه المحاور الأفقية .

ولهذه الفترة أهميتها في تاريخ الفن المصري ، حيث حصلنا منها على أقدم محاولة لتصوير جدارى ملون في تاريخ الحضارة المصرية ، مما يدل على أن الفن في تلك الفترة قام بقفزات سريعة تقدمية . فن مدينة « هيراكنبوليس » عثر على صورة جدارية ملونة في مقبرة من مقابر المدينة يرجع تاريخها إلى الجزء الأخير من الألف الرابعة قبل الميلاد ( شكل ١٢ ) . وللأسف تطرق التلف لبعض أجزائها ، ونقل ما تبقى من الجدار إلى المتحف المصري بالقاهرة .

وهذا الجدار مشيد من اللبن مغطى بطبقة بيضاء مرسوم فوقها مجموعة مبعثرة من الأشكال على السطح بأكمله . وهذه الوحدات المبعثرة ليس هناك ارتباط بينها ، وتمثل الوحدات أشكالاً آدمية وحيوانية . فترى رجالاً يتقاتلون . كما نشاهد رجلاً واقفاً بين أسدين . ومن الواضح أن بعض وحدات

( ١ ) سوط له مقيض كروى الشكل يستعمل في القتال .



١١١

(شكل ١١) قبضة سوط الملك المقرب وبه نقش يصور الاحتفال بشق  
قناة « انظر الرسم التفصيل » ( ١١ ا ) « متحف أشموليان »

(شكل ١٢) جزء من تصوير جدارى ملون عثر عليه في مقبرة بمدينة  
هيراكنبوليس « حالياً الكوم الأحمر » « المتحف المصرى القديم بالقاهرة »



هذه الصورة الجدارية يتردد في سكنين جبل العرق . وتعبر المساحات البيضاء عن قوارب تستعمل في نقل الموتى . ويؤكد ذلك صورة النساء الباكيات اللواتي يرفعن أذرعهن إلى أعلى .

ويرجع تاريخ هذه الصورة الجدارية إلى سنة ٣٢٠٠ ق . م حين كانت مصر محكومة بمجموعة من الحكام في الشمال والجنوب . ومن الجائز أن النقوش التي تمثل رجالاً باللون الأبيض يقفون رجالاً باللون الأسود . تشير إلى المعارك التي كانت تدور بين المملكتين الشمالية والجنوبية قبل أن توحد الدولة على يد الملك « نعرمر أو منى » « Narmer or Mena » أحد ملوك الجنوب الذي أخضع الشمال لسلطانه ، وأسس الأسرة الأولى في حكم مصر الموحد في العصور التاريخية .

لم يعثر على أثر مسجل باسم الملك « منى » الذي جاء ذكره في بردية « تورين Turin » كمؤسس للأسرة الأولى . كما ورد اسمه في قائمة الملوك « بأبيدوس » كأول ملك من ملوك مصر الموحدة<sup>(١)</sup> . ولكن عثر على مستند تاريخي يخلد ذكرى التوحيد وذلك هو صلاية « نعرمر » الأردوازية<sup>(٢)</sup> (شكل ١١٣ وب) مما حمل العلماء على الاتفاق على أن « نعرمر » هو اسم آخر للملك « منى » .

وطابع لوحة « نعرمر » من طراز ما قبل الأسرات ، ويتضح من دراستنا لها مميزات الفن المصرى في هذه الفترة الذى سيستمر في الظهور في العهود المصرية التالية . كما أنها تعتبر أقدم سجل تاريخي فني لأقدم شخصية تاريخية عرف اسم صاحبها . حيث تسجل هذه اللوحة على وجهيها نقوشاً تصور الكفاح الذى قام به الملك والنصر الذى تم له .

قسم الفنان سطح اللوحة إلى تقسيمات أفقية سجل عليها الأحداث بطريقة

( ١ ) ذكر الرحالة الإنجليزى الذى زار مصر أن الكهنة المدايين أخبروه أن « منى » كان أول

من حكم مصر .

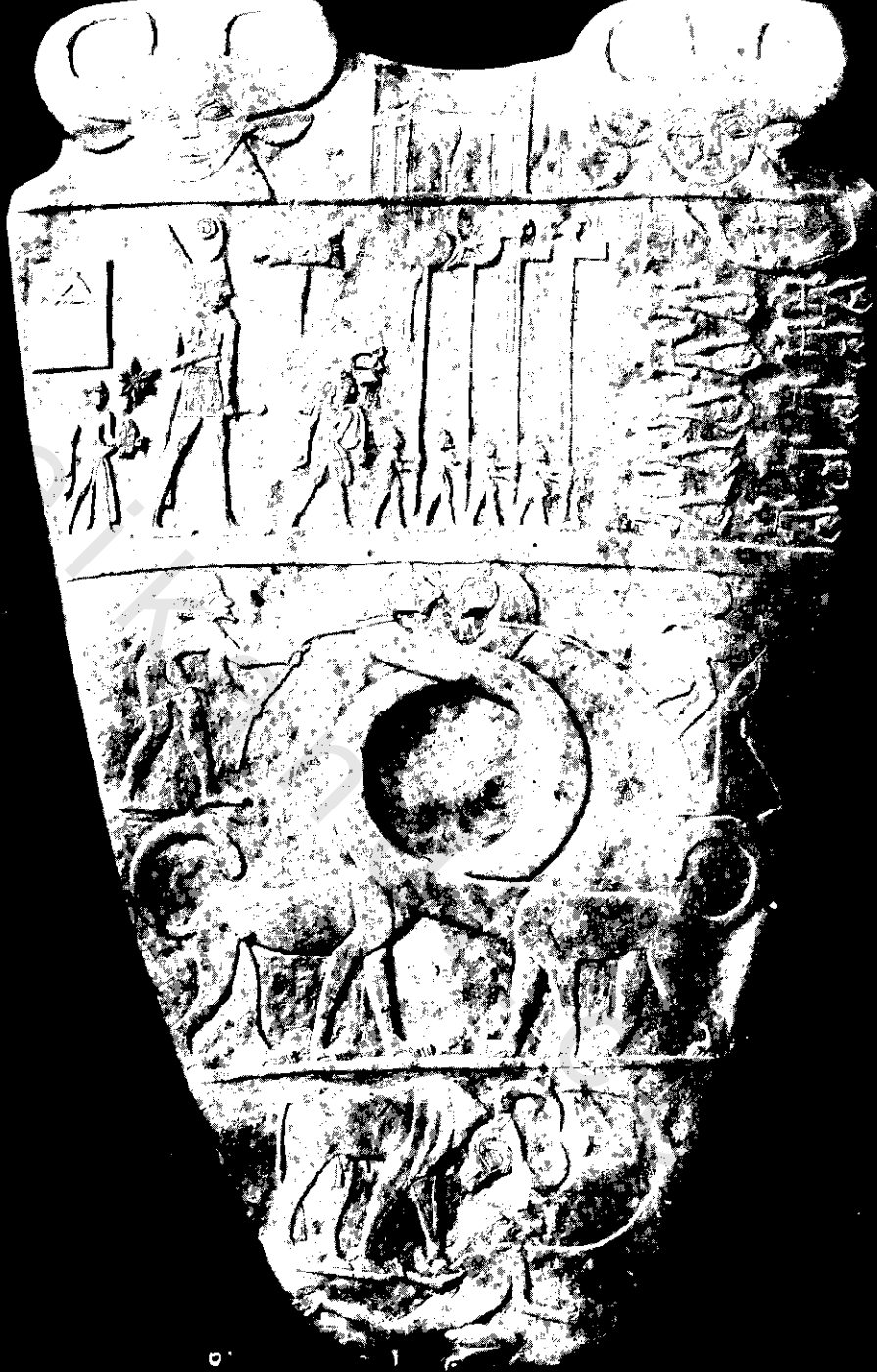
( ٢ ) رغم وجود حفرة بها إلا أن صلاية « نعرمر » من المؤكد أنها عثرت لغرض تذكاري .

مبسطة تبدو ككتابة يسهل قراءتها . فأحد الوجهين « ا » يعلوه رأسان للآلهة « حتحور » على شكل رأس بقرة - نقش بينهما اسم الملك بالهيروغليفية . وفي السطر الأوسط رسم الملك بحجم أكبر من الأشخاص المرافقين له مرتدياً تاج الوجه القلبي الأبيض . وتسلك يسراه برأس أسير راجع . بينما يمتد تحمل المقموعة التي يوشك أن يهوى بها على رأس عدوه . ويقف في مواجهة الملك الصقر « حور » أو « حورس Horus » على مجموعة من نبات البردى ، ممسكاً بخبل يمر من أنف رأس آدمى يخرج من نفس الأرض التي ينمو فيها النبات . وهذه المجموعة الأخيرة ما هي إلا تكرار لمنظر النصر الملكي . فالصقر « حورس » رمز إله الوجه القلبي ، ونبات البردى يرمز للوجه البحري . ولاعتقاد المصريين بأن الملوك من نسل الآلهة . لذلك تعتبر هذه الوحدة ترديداً لانتصار الآلهة على الآدميين . ورسم الملك بهذه الصورة يضرب عدوه الآدمي لا يعنى معركة حقيقية وإنما هي صورة رمزية للنصر . لأن الإله لا يصارع الآدميين . وخلف الملك يظهر تابع يحمل صندل الملك وإناء . كما يظهر في السطر الأسفل رجلان عاريان يحاولان الهرب ومن خلفهما شكل حصن .

وبأعلى الوجه الآخر ( ب ) رأسا حتحور ونقش بينهما اسم الملك ، وبالسطر التالى نرى الملك مرتدياً تاج الوجه البحري الأحمر . يتبعه حامل صندله في موكب النصر مع وزيره وحملة الألوية وهو يعاين جثث الأعداء المفصولة رؤوسهم . وبأسفل ذلك الموكب يوحد رجلان بمسكان بجيوانين خرافيين . لهما رقبتان طويلتان متعانقتان تقع بينهما فجوة دائرية . ولا يوجد معنى لهذه الوحدة . ويظهر أن الفنان استعملها بقصد الزخرفة . ويتكرر رمز النصر مرة أخرى في أسفل اللوحة ، ففى ثورا يمثل الملك يطرح شخصاً أرضاً ، ويقتحم بقرنيه أحد أسوار قلعة . ويتكرر ارتباط الملك بالثور في الذيل الذى يتدلى من حزامه . كما أن الملك كان يلقب فى العصور التاريخية بلقب « الثور القوى » . وما يؤكد تأثر هذه اللوحة بطراز ما قبل الأسرات . هذه الوحدة الأخيرة التى شوهدت من قبل فى آثار نهاية عهد « جزيرة » منقوشة على لوحة الصيادين ( شكل ٩ ) .



(شكل ١٣، ب) صلاة الملك « نعرمر » نقش على الوجهين بنقوش  
 مصورة وتجمع هذه النقوش بين أسلوب الفن فيما قبل الأسرات -  
 كصورة الحيوانين الخرافيين (شكل ١٠) وصورة حزام الملك الذي



منه ذيل الثور (شكل ٩) - ويبين أسلوب الفن المصري القديم  
 الأسرات وذلك في رسم الملك من وجهاً نظر مختلفة في حجم  
 الأواد المحطين به . « المتحف المصري بالقاهرة »

وللأسف لا توجد آثار توضح الفترة الانتقالية التي مر بها الفنان منذ نهاية عهد « جرزة » إلى أن توصل إلى مثل هذا العمل الفني الرائع الذي يلاحظ فيه تقدم واضح ، حيث توصل الفنان إلى اكتشاف خط الأرضية واستعملها في توزيع الأشكال ، ما عدا جثث الأعداء التي رسمها وكأنها منظورة من أعلى . ويلاحظ في رسمه للأشخاص أنه يصور الأكتاف والأعين من الناحية الأمامية بينما تظهر بعض أجزاء الجسم في وضع جانبي ، مثل الرأس والجزء الأسفل من الجسد . ويستمر هذا الأسلوب في الفن المصري بدون تغيير تقريباً خلال عهد الأسرات . كما يستمر رسم الملك في حجم أكبر من حجم الأشخاص الموجودين معه في نقوش وتصاوير مقابر أسر الدولة القديمة . وترجع أهمية هذا التراث الرائع إلى أنه كان بداية لظهور مميزات طابع الفن المصري الذي يستمر من أوائل عهد الأسرات حتى أواخر العهود المصرية تقريباً . كما أنها تعتبر المسند لتاريخي الوحيد الذي يشير إلى أن الوحدة تمت بعد نضال في عهد الملك « نعرمر » حيث نراه يضع تاج الشمال فوق رأسه في أحد الوجهين ، ويضع تاج الجنوب في الوجه الآخر .